

سوف إلى المطران أنهى قصتي إن دام ما تؤثره من هجرتي
فإن رثي لي طالباً معونتي ولم تشفعه بكشف كرتي
شكوت ما يلقاه من فرط السقم قلبي إلى البطرك والخبر العلم

وهذه الروح الفكاهية لا تقف عند ابن وكيع، بل تمتد إلى غيره من الشعراء في العصر الفاطمي، وقد كان لها آثارها في الحياة السياسية والاجتماعية. أما من حيث الحياة السياسية فإن الباحث يجدها تلمع فوق ذرى كثير من الحوادث، ولعل من الطرف التي تصور ذلك ما نعرفه عن الشك في نسب الفاطميين، فقد تسرب شاعر مصري فكه من خلال هذا الشك إلى صنع قطعة ألقى بها على منبر المسجد الجامع يوم الجمعة، فلما صعد العزيز ثاني خلفائهم تناولها فإذا فيها:

إننا سمعنا نسباً منكراً يُتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعى صادقاً فاذكر أبا بعد الأب الرابع
وإن تُردُّ تحقيق ما قُلتُه فانسب لنا نفسك كالطائع
أو قدع الأنساب مستورةً وادخل بها في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم يقصرُ عنها طمع الطامع

أرأيت إلى هذا النسب الواسع الذي أدخل فيه الشاعر العزيز وأسرته حتى يخرج من دائرة النسب الضيق، نسب بني هاشم الذين لا تزال أسرة منهم وعلى رأسها الخليفة الطائع تحكم في العراق. وما من ريب في أن هذه سخرية لاذعة بالحكام الجدد من الفاطميين الذين نعرف شعوذة كثير منهم وما كان من ادعائهم لمعرفة الغيب، وقد سخر من ذلك شاعر آخر فألقى على المنبر يوم الجمعة رقعة ليقراها الخليفة، وكان مكتوباً فيها:

بالظلم والجور قد رَضِينَا وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطاقة